اكتساب اللغة

تمهيد:

اكتساب اللغة أهمّ مجال للدّراسة والبحث في اللسانيات النفسية/ علم اللّغة النّفسي، سواء أكانت لغة المنشأ، أم لغة ثانية، ام أجنبيّة، وهو الميدان الفعلي الذي تتضح فيه العلاقة بين علم النّفس، وبين علم اللغة، فالطّفل الذي يعيش وسط أهله في بيئة معيّنة يتعرّض للغتهم ويتلقّاها، فيكتسبها بطريقة طبيعيّة سواء أكانت لغة أجداده وآبائه، أم لم تكن، فاللّغة لا تُورّث ولكن تُكتسب بشكل عفوي دون قصد.

1 : مصطلحات ومفاهيم

أ - اكتساب اللغة وتعلّمها وتعليمها:

لا يفرّق بغض الباحثين بين مصطلحي اكتساب اللّفة وتعلّمها، غير أنّ منهم من يرى ضرورة التّفريق بينهما، وعلى رأسهم(كراشن)، باعتبارهما عمليّتين مختلفتين، فاكتساب اللغة عمليّة لاشعوريّة؛ أي إنها عمليّة تلقائيّة، تُنمّى من خلالها الكفاية التّواصليّة لدى المتكلّم دون الحاجة إلى تعليم منظّم وموجّه، مثل اكتساب الطّفل للغة الأم في الأسرة والمجتمع، أو اكتساب الفرد لغة أجنبيّة عن ناطقيها مباشرة عن طريق التّفاعل الاجتماعي، أمّا تعلّم اللغة فهو عمليّة شعوريّة مقصودة؛ أي إنّها تتمّ بطريقة اصطناعيّة وإراديّة لامتلاك معرفة بمفردات وقواعد لغة ما، مثل تعلّم الطّفل لغة الأم أو اللغة الأجنبيّة في المدرسة، ومثل تعلّم الكبار لغة أجنبيّة ما في المراكز المخصّصة لذلك، أو عن طريق برامج التعلّم الذاتي.

ب لغة المنشأ ولغة الأمّ:

يكتسب الطّفل في مراحل طفولته الأولى لغة الأسرة والأهل وينطق بها، وتُسمّى لغة الأمّ، سواء أكانت لغة الآباء والأجداد، أم لم تكن، ويتم الاكتساب اللغوي بشكل طبيعي وتلقائي، وتُكتسب هذه اللغة قبل غيرها، ولذلك تقع في المرتبة الأولى، وقد لا تكون هذه اللغة لغة الأمّ الأصيلة فعلا، ولذلك اسُتبدل مصطلح لغة الأمّ بمصطلح لغة المنشأ، ومثال ذلك اللغة الفرنسيّة التي يكتسبها الطفل ذو ألأصل الجزائري الذي يعيش في فرنسا.

ج اللغة الثانية واللغة الأجنبيّة:

يتمّ التمييز بين مصطلحي اللغة الثانية واللغة والأجنبية باعتبار أنّ اللغة الأجنبيّة مصطلح يُطلق على أيّة لغة لم يتعلّمها المتعلّم في بيئتها، مثل الفرنسيّة والإنجليزيّة والألمانيّة بالنّسبة للعربي، أمّا اللغة الثانية فهي مصطلح يُطلق على أيّة لغة يتمّ تعلّمها في بيئتها، مثل الفرنسيّة التي يتعلّمها العربي في فرنسا أو بلجيكا، والإنجليزيّة التي يتعلّمها في بريطانيا أو الولايات المتحدّة الأمريكيّة، أو حيث تكون هذه اللغة مستعملة في وطن المتعلّم

استعمالا واسعا ومنتشرا، مثل الإنجليزيّة في الهند، والفرنس يّة في الجزائر، وهذا التّمييز يقرّه بعض الباحثين، فاللغة الثانية تأتي في الترتيب بعد اللغة الأولى والتي هي لغة الأمّ، وتكون اللغة الثانية واسعة الانتشار في بيئة ما بعد اللغة الأولى، ولذلك يتمّ تدريسها وفق برامج خاصّة بها في البلدان التي تنتشر فيها، مثل كندا؛ حيث تُدرّس الفرنسيّة لغة ثانية في المدارس بعد الإنجليزيّة التي تعدّ اللغة الأولى.

2 : آليّات اكتساب اللغة

لابدّ من توفّر عدد من الآليّات حتّى تتم عمليّة الاكتساب اللغوي، وهي الأسس والمبادئ التي ترتكز عليها هذه العمليّة، وهي:

- القدرة على الكلام: ويقصد بها سلامة المخّ والجهاز العصبي، و الجهاز الحسّي المسؤول عن نقل الرسائل الحسيّة، ونموّ الحواس والمراكز المسؤولة عن اللغة في الدّماغ، وهي التي تعمل على الترميز وفكّ الترميز اللغوي، مع اكتمال النموّ اللغوي.
- تخزين المعاني في الذّاكرة، ويؤدّي التكرار دورا هامّا في هذا التّخزين.
- الفهم اللغوي: حيث يبدأ الطّفل أوّلا بتشكيل الصّورة الصّوتيّة للكلمات، كأسماء الأفراد والأشياء والحيوانات المُختزنة في خلايا الذّاكرة، وتتطوّر عمليّة الفهم اللغوي لديه تدريجيّا بالاستناد إلى بعض المبادئ مثل التّصنيف والتعميم، حيث يصل إلى مرحلة يستطيع فيها التعبير بواسطة اللّغة انطلاقا من فهم المنطوقات، وربطها كصورة سمعيّة بمّا تدلّ عليه، محسوسات، أما المعاني المجرّ دة، أي عمليّة التجريد فتتأخّر إلى مراحل لاحقة.
- معرفة الكلام :ويصبح الطّفل فيها قادرا على التعبير عمّا يريده، وعن مشاعره وأحاسيسه، وتجاربه التي يعيشها في المجتمع، وذلك من خلال إدراك المعاني والتعبير عنها.
- إرادة الكلام :وهي جانب نفسي بحت؛ أي رغبة الطّفل في الكلام والتواصل مع محيطه الاجتماعي، وتتحكّم في هذه العمليّة عدّة جوانب اجتماعيّة وعاطفيّة، إيجابا أو سلبيا.

التّظريّات المفسّرة للاكتساب اللغوي3 :

هناك عدّة نظريّات مفسّرة للاكتساب اللغوي، ولكن يمكن تصنيفها إلى ثلاثة اتّجاهات رئيسة:

أ الاتّجاه السّلوكي:

ويفسّر هذا الاتّجاه الاكتساب اللغوي من خلال ثنائيّة المثير والاستجابة، وللمحيط الخارجي دور كبير في هذه العمليّة، واللغة سلوك يكتسب مثل باقي السلوكات، وهناك مبادئ سلوكيّة تساهم في هذه العمليّة مثل: التكرار، والتقليد، والتّعزيز، والانطفاء.

ب الاتّجاه الفطري:

- يكتسب أي طفل مهما كان جنسه أو لونه أيّة لغة يُعرّض لها، ما لم يكن فاقدا للسمع، أو يعاني من مشاكل في الجانب الأيسر من الدّماغ، ويمكن تلخيص المبادئ الفطريّة في النقاط الآتية:
- يكتسب الأطفال جميعهم اللغة بطريقة موحّدة.
- يكتسب الأطفال جميعهم اللغة اعتمادا على ذواتهم أساسا.
- يكتسب الأطفال جميعهم لغة المحيط الذي يعيشون فيه.
- يكتسب الأطفال جميعهم اللغة في ظرف وجيز، إذا ما قورن الأمر بتعلّم عادات أخرى كالحساب مثلا.

ويركّز هذا الاتّجاه على الجهاز الفطري الذي يشترك فيه بنو البشر، حيث يشكّل ملكة عقليّة يولد كلّ طفل وهو مزوّد بها، وهذا الجهاز هو أساس الاكتساب اللغوي لأنّه عبارة عن استعداد نفسي يهيّئ الأطفال للاكتساب اللغوي، كما يُعنى هذا الاتجاه بالجوانب المعرفيّة الفرديّة وأهمها خاصية الإبداع.

ج الاتّجاه الوظيفي:

ليس هناك خلاف بين هذا التجاه وبين الاتجاه الفطري حول وجود قدرات يولد الطّفل وهو مزوّد بها، لكنّ الخلاف يكمن في طبيعة هذه القدرات، فإذا كانت هذه القدرات في الاتجاه الفطري هي قدرات عقلية خالصة، فهي في الاتجاه الوظيفي بالإضافة إلى ذلك قدرات وظيفيّة تواصل يّة، لأنّ هذا الاتّجاه لا يهمل دور المجتمع في اكتساب الوظائف التواصليّة، وهي التي تسمح بتوظيف العبارات والجمل في السياقات التّواصليّة المناسبة